الانحراف الأخلاقي وأثره على المجتمع
Moral deviation and its effect on society

أ . م. د. عبد هادي فريح القيسي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية
قسم العقيدة والفكر

الخلاصة

يعالج هذا البحث قضية خطيرة جدا، الا وهي الانحراف الاخلاقي و اثاره الجسمية في المجتمع، وقد يتطلب من الإنسان العاقل أن يندفع دائماً إلى سلوك سبيل الخير، والابتعاد عن الشر، إرضاء لله وابتغاء وجهه، ورغبة في ثوابه ورهبة من عقابه، غير ان الإنسان غير السوي إذا أراد إرضاء شهواته العارمة، وغرائزه المنحرفة الشاذة قادته الى الانهيار الخلقي، لتكن المحصلة هدم القيم الاخلاقية في المجتمع الانساني باعتبار المجتمع له مكوناته الجوهرية المتمثلة بالقيم الخلقية والمادية.

Abstract

This research deals with a very serious issue, namely the moral deviation and its physical effects in society. It may require the wise man to always rush to the path of good, to stay away from evil, to please God and seek his face, and to desire his reward and awe of his punishment. If he wants to satisfy his lusts, and his perverse perverted instincts led him to moral collapse, the result would be to destroy moral values in human society as society has its essential components of moral and material values.

Keywords: - Moral deviation , Moral deviation and its effect on society

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إن حقيقة الإيمان بالله وبعدله يتطلب من الإنسان العاقل أن يندفع دائماً إلى سلوك سبيل الخير، والابتعاد عن الشر، إرضاء لله وابتغاء وجهه، ورغبة في ثوابه ورهبة من عقابه، لكن الإنسان غير السوي إذا أراد إرضاء شهواته العارمة، وغرائزه المنحرفة الشاذة الناتجة في داخله بإلحاح متتابع، حاول أن يتخلص من التناقض الداخلي فيه بأن يهرب من الحقيقة التي تقوم براهينها الجلية في فكره وفي فطرته، وذلك بأن يزين لنفسه سوء عمله، ويكون مقتنعاً بها، لكن في الحقيقة هي انحراف عن الجادة الحقة.

وقد عرّفت الانحراف وبينت أسبابه، ثم تطرقت إلى دور العائلة في إبعاد الأبناء عنه، ثم سقت بعضاً من الشواهد القرآنية لكي أعضد دراستي التي تسير وفق منهجية العلمية، وبعدها بينت أثار الانحراف على المجتمع ثم اعطيت العلاج لكي نحافظ على القيم والعادات الاجتماعية الصحيحة، ثم أعقبت ذلك بخاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وكان منهجي في هذا البحث (موضوعي نقدي) .

ومن الله التوفيق..

أهمية البحث

إن اثر الانحراف في المجتمعات كبيرة جدا وذلك لكثير من الأسباب قمت بتناولها في هذا البحث ولذلك تعود أهمية هذا البحث بطرح فكرة مهمة ومؤثرة في المجتمع حيث ان هذا الانحراف لا يؤثر على الفرد فقط بلسيكون اثره كبير على المجتمع أيضا، لذلك أردت أن أوجه الأنظار لذلك وبيان آثاره على الفرد والمجتمع، لكي لا ينحدر إلى مستنقع الرذائل التي تعجل بهلاكه، وعليه اخترت موضوع الانحراف الأخلاقي وأثره على المجتمع .

مشكلة البحث

ان المشكلة التي يدور عليها هذا البحث هو من خلال طرح أنواع الانحراف وآثاره على المجتمع وتطرقت إلى بعض الصور القرآنية التي تناولت هذه المشكلة ومن ثم بينت طريقة العلاج التي يمكن أن تقلل من اثر الانحراف بل تقلل من نشأته في المجتمع .

أهداف البحث

ان الهدف من هذا البحث هو تسليط الضوء على أسس ومبادئ علاج مشكلة قد انتشرت في مجتمعاتنا وطريقة إزالة اثرها بشكل يجعل هذا المجتمع قادر على أن يكون مجتمعا سليما معافا من معوقات تطوره إضافة الى الهدف الكبير من محاولة إبداء النصح وتقليل من مستوى الضعف النفسي الذي يدب في نفوس كثير من الأفراد وزيادة العلو بالهمة لخير هذه الأمة وتسهيل سبل نجاتها في الدنيا و الأخرة .

المطلب الاول: مفهوم الانحراف وأسبابه.

أولاً: مفهوم الانحراف.

قبل الدخول في هذا الموضوع لابد لنا من تعريف لمفهوم الانحراف في اللغة والاصطلاح لكي نبسط بعض المصطلحات العلمية، ونلم بالموضوع من جميع جوانبه.

الانحراف في اللغة:

هو الميلان، يقال انحرف عن كذا، أي حال عنه[1]، وجاء بمعنى مال وعدل[2]، وإذا مال إنسان عن الشيء قيل انحرف، والإنسان على حرف من أمره أي على انحراف[3].

وعلى ذلك يمكن القول بأن الانحراف في اللغة الخروج والميل عما هو مألوف في ذلك المحيط الذي يعيش فيه.

أما الانحراف في الاصطلاح:

هذا المفهوم سواء أكان بنشاط أم تصرف يدل على خروج الفرد عن القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية الصحيحة والأوامر الدينية التي جاء بها الأنبياء (عليهم السلام).

وقد عرّف علماء الاجتماع الانحراف بأنه: الخروج عن السلوك السوي، التي تحرمها القوانين وتستوجب عقوبات خاصة، وكما تعد خروجاً عن قيم المجتمع وتقاليده[4].

وقد عرفه (بول تابان): كل سلوك أو موقف يمكن أن يعرض أمره على المحكمة ويصدر فيه حكماً قانونياً[5].

وكذلك عرّفه (صوفيا روبينسن): بأنه كل سلوك يعارض مصلحة الجماعة في زمان ومكان محددين بصرف النظر عن كشف هوية الفاعل وتقديمه للمحكمة[6]،

وعلى ذلك نقول بأن:

---

[1]ينظر: لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري (ت711هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة : 2/ 839، مادة (ح ــ ر ــ ف) .

[2]ينظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان - بيروت، 1995م : 131 .

[3]ينظر: المحيط في اللغة، الطالقاني، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس بن أحمد، ط1، عالم الكتب - بيروت، 1994م : 1/ 82 .

[4]معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي، مكتبة لبنان - بيروت، 1977م : 106، التربية المدنية كوسيلة للوقاية من الانحراف، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب - الرياض، 1406هـ : 24 .

[5]انحراف الأحداث ومشكلة العوامل، منير العصرة، المكتب المصري الحديث ــ القاهرة، 1974م : 51

[6]ينظر: المصدر نفسه .

الانحراف: هو فكر وسلوك خارج عن الطريق السليم، له تأثير سلبي على المجتمع، يدل على التخلف والانحطاط، يوجب عقوبة صارمة؛ لأنه خالف القوانين والقيم الصحيحة.

ثانياً: أسباب الانحراف.

نرى أن الانحراف قد زاد في هذه الأيام، ويكون لأسباب عدة اجتمعت في هذا المجتمع مما أدى إلى انحراف الشباب عن كثير من العادات والتقاليد الصحيحة، وتعاليم الدين التي أرادت للمجتمع الرقي والسعادة، ولذلك سأبين هذه الأسباب:

أ. الأسباب الداخلية.

أي التي تتعلق بالفرد المنحرف سواء من الناحية الدينية أم النفسية أم العقلية[1].

وهذه العوامل قد تكون فطرية في الفرد، وقد تكون مكتسبة بعد الولادة[2]، ونوضحها بما يلي:

1. الوراثة: أي أن الفرد قد أخذها من والديّه بواسطة الجينات، فتكتسب منهما بعض الصفات التي تظهر على الفرد[3]، وعلى ذلك فإن للعامل الوراثي تأثير على الأبناء حتى وإنهم لا يكتسبون جميع صفات الآباء، ولذلك فإن الرسول(صلى الله عليه وسلم) حث الآباء على اختيار الأم الصالحة فقال: (إياكم وخضراء الدّمن، فقيل يا رسول الله وما خضراء الدّمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء)[4]، وقال (عليه الصلاة والسلام): (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس)[5]، فحث الرسول(صلى الله عليه وسلم) على اختيار الصحيح الذي هو أساس تكوين الأسرة الصالحة, لأن الصفات تنتقل بالوراثة إلى أجيال متباعدة، ولأن المرأة هي التي تربي الأولاد وتنشئهم النشأة الصحيحة إذا كانت صالحة.

2. السن: العلماء يركزون على العمر؛ لأنه من أهم العوامل التي تؤدي إلى الانحراف، فالإنسان يمر بمراحل عديدة أهمها مرحلة المراهقة التي قد ينحرف الفرد فيها عن الصواب، فتتغير تصرفاته، فتنعكس على سلوكه، فيكون منحرفاً عن الخط السليم[6].

3. الجنس: ونقصد به جنس الذكور أو الإناث، فقد بين كثر من العلماء بأن الفتيات أقل انحرافاً من الذكور، وحسب البيئة التي تعيش فيها[7].

ب.الأسباب الخارجية.

ونقصد بها ما يتعلق بالتنشئة التي نشأ فيها الفرد المنحرف، سواء أكانت هذه الأسباب اجتماعية أم ثقافية أم اقتصادية، فهذا كله ينعكس على هذا الفرد وعلى سلوكه الذي يسير عليه، فهناك جملة من الأسباب نذكر منها:

1. الاجتماعية: المتمثلة بالأسرة والمدرسة والأصدقاء، وهذه العوامل بعضها يؤثر على بعض.فالأسرة: هي النواة الأساسية في تكوين المجتمع، فإذا صلح أفرادها سيصلح المجتمع، وإذا ظهر فيهم غير ذلك فإنها ستؤثر على

---

[1] ينظر: الحماية الجنائية للأطفال، شريف سيد كامل، دار النهضة العربية، ط2، 2006م : 331 .

[2] ينظر: الموجز في علم الإجرام، د. دردوس مكي، ديوان المطبوعات الجامعة، قسطنطينة : 11 .

[3] ينظر: الجريمة بين البيئة والوراثة، د. عبد الرحمن محمد العيسوي، دراسة في علم النفس وتفسير الجريمة، منشأة المعارف، الإسكندرية ــ مصر، 2004م : 63 .

[4] [مسند الشهاب، القضاعي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر (ت454هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مؤسسة الرسالة ــ بيروت، 1986م : 2/ 96] .

[5] [المستدرك على الصحيحين، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (ت405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية ــ بيروت، 1990م : 2/ 186، وقال حديث صحيح الإسناد] .

[6] ينظر: الحماية الجنائية للأطفال، د. شريف سيد كامل : 227 .

[7] ينظر: مبادىء علم الإجرام والعقاب، د. محمد زكي، منشأة المعارف ـــ الإسكندرية، 2000م : 142 .

لمجتمع، فالفرد الذي يشذ منها يكون مؤثراً على أفراد المجتمع آنذاك، لذلك فالتربية لها أثرها في الحفاظ على سلوك الفرد.

والمدرسة: بعد أن عاش الفرد في أسرته واكتسب من عاداتها وتقاليدها الشيء الكثير يتحول إلى حضنٍ آخر ألا وهو المدرسة التي تعد الحقل الثاني الذي يكون شخصية الفرد وسلوكه، بل قد يكتسب الطفل من معلميه الشيء الكثير سواء كان بتصرفاتهم أم أخلاقهم أم كلامهم، وانه يسمع نصحهم وإرشادهم؛ لأنهم قدوة له في كل شيء[1]، لذلك فيجب معاملة الطفل معاملة لا تجعله ينفر من المعلم ولا يتأذى من كلام زملائه؛ لأن ذلك سيؤدي إلى فشله ثم انحرافه عن التوجيهات الصحيحة[2].

والأصدقاء: الذين يقضي أغلب وقته معهم خارج البيت والمدرسة، وخاصة عند فراغه فيتسلى معهم لأنهم يكونوا أقرب إليه من الكبار، لذلك فهو الذي يختار أصدقائه بنفسه، وحسب ميوله النفسي وتكوينه العضوي[3].

فالأصدقاء لهم أثر كبير في زرع الخلق السيء وانحراف الطفل عن توجيهات والديّه، فيرتكب في أغلب الأحيان الأفعال الإجرامية التي يقوم بها أصدقائه أمامه.

2. السبب الآخر وهو الوسائل الحديثة: ونقصد بها وسائل الاتصال الحديثة سواء كانت الانترنت أم جهاز الموبايل أو الاعلام، فهذه الوسائل قد ينشأ عليها الطفل ويكتسب منها كل ما هو سلبي فتتكون شخصيته وسلوكه منها وبذلك يؤدي به إلى الانحراف والخروج عن النطاق الاجتماعي الذي تربى عليه[4].

لذلك نرى هذه الوسائل لها الأثر الكبير في انحراف كثير من الشباب، عن التعاليم الصحيحة بسبب استخدامه السيء لها من قبل الشباب، وذلك لعدم اكتمال نضجهم، وخصوبة خيالهم وضعف ملكة النقد لهم، لذلك فهم يهرعون إليها بسرعة ويستخدمونها بشكل دائم مستمر من دون أي مراقبة، لا من قبل الأسرة ولا من قبل الدولة؛ لأن هذه الوسائل ذي حدين، فالأنترنيت و الموبايل و الستلايت والصحف والمجلات مع دورها المهم والفعال في المجتمع؛ لأن استخدامها بالطريق غير السليم يؤدي إلى التخريب وتهديم الفكر الشبابي، وبذلك ينحرف عن الخير إلى الشر، ويكون أداة هدم لمجتمعه بعد ما كان أداة بناء وتطور.

فالتربية التي أخذت بالنظرية الصحيحة والمنهج القويم الذي يقوم على التفكير الصحيح والابتعاد عن السيئات ومحاربة النفس والسير إلى كل صالح يؤدي إلى بناء المجتمع ورقيه[5].

3. الأسباب الاقتصادية: نقصد بها كل ما يطرأ على الفرد من تغيرات اقتصادية لها أثرها في ميوله إلى الانحراف والخروج عن الاتجاه السليم، سواء تعلقت بالفرد أم بالأسرة، وأسبابها الفقر والبطالة التي تجعله يحتاج إلى ما يسد احتياجاته ويلائم متطلبات أصدقائه[6]، لذلك فإن فقر العائلة يؤدي ببعض الأفراد إلى الانحراف والسرقة وارتكاب الجرائم التي ينال منها ما يؤمن رغباته وشهواته.

---

[1] ينظر: رعاية الأحداث ومشكلة التقويم، د. منير العصرة، الإسكندرية، 1975م : 243 .

[2] ينظر: مبادىء علم الإجرام والعقاب، د. سامح السيد أحمد، القاهرة، 1976م : 118 .

[3] ينظر: الإجرام والعقاب في مصر، د. حسن صادق ــ الإسكندرية، 1973 : 174 .

[4] ينظر: رعاية الأحداث ومشكلة التقويم، د. منير العصرة : 212 .

[5] ينظر: المناهج المعاصرة، الدمرداش عبد المجيد سرحان، ط3، مكتبة الفلاح ــ الكويت، 1981م : 21.

[6] ينظر: علم الإجرام وعلم العقاب، د. إسحاق إبراهيم منصور : 88 .

المطلب الثاني: العائلة ودورها في التقويم.

اولاً: دور العائلة في إبعاد الأبناء عن الانحراف.

للآباء دور عظيم في وقاية الأبناء من الانحراف وشذوذهم عن الصواب، لذلك قال (عليه الصلاة والسلام):(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...)[1]، فمن هنا نجد أن للأسرة دوراً تربوياً يقوم على غرس الإيمان والتوحيد في نفس الفرد وتوجيهه على أساس إسلامي يحفظ له قيمته الإنسانية ويرتقي بالمجتمع إلى أرقى المستويات من التقدم والازدهار، فهذه التربية تشكل له وقاية من الانحراف كون الضعف الديني في نفس الفرد يجعله يتقبل لكل ما يأتي له من هنا وهناك، فيتأثر به ويتخذ شكلاً مثالياً يسير عليه في حياته[2].

وأهم ما في الأسرة الأم؛ لأن دورها في التربية عظيم، فاختبارها على ما أوجبه الإسلام له أثره في مستقبل حياة الفرد، فيقول محمد نور سويد: إن خير ما تتكح المرأة دينها وصلاحها وتقواها، وإنابتها إلى ربها تبارك وتعالى مثل هذه تقر العين بها وتؤمن على نفسها ومال زوجها، وتربية أولادها، كي تغذيهم بالإيمان مع الطعام، وتصب فيهم أحسن المبادئ مع اللبن وتسمعهم ذكر الله تعالى من الصلاة على نبيه ما يشربهم التقوى، وتركز فيهم حب الإسلام إلى أن يموتوا، والمرء يشيب على ما شب عليه، وإن صفات الوالدين تنحدر إلى الأولاد وكثيراً ما تظهر ملكة التقوى في الولد تبعه لأبويه، أو لأحدهما أو للعم أو الخال[3].

فمن واجبات الأسرة المسلمة التربية الاجتماعية والأخلاقية في تعليم الفرد الآداب الاجتماعية، وغرس القيم والفضائل الأخلاقية في نفسه حتى تصبح له منهجاً في مقبل حياته، وحتى تكون التربية سليمة وصحيحة علينا أن نبدأ من الصغر، فيعود الآداب والأخلاق لقوله (صلى الله عليه وسلم):(حافظوا على أولادكم في الصلاة وعلموهم الخير فإنما الخير عادة)[4]، أي أن تعودوهم على تكرار عمل الخير حتى يألفوا فعله، ويصبح عندهم فعل الخير سجية، فينال من الصفات الحميدة ما يكتسبه من الآباء، فالفرد يتعلم من صغره أكثر من أي وقت آخر ما يشاهده وما يسمعه من الوالدين، لذلك حثت السنة النبوية الآباء بأن يحسنوا تعليم وتأديب أولادهم، قال (عليه الصلاة والسلام): (لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع)[5].

وعلى ذلك فإن الأسرة لها الدور الكبير في حماية الأبناء من الانحراف؛ لأن مرحلة الطفولة هي فترة إعداد وتهيؤ وتدريب لدورٍ عظيم في مستقبل عمرهم؛ ولأنهم سيحملون تقدم المجتمع إذا ساروا على المنهج الأبوي القويم الذي أراده الله (عز وجل)[6].

ومع التغيرات التي عصفت بالأسرة في العصر الحديث وأثرت على تماسكها وحجمها ووظيفتها إلا انها ما تزال هي العامل الأساسي في حياة الطفل، ذلك لأن الطفل يعيش سنوات من عمره في أحضان أسرته التي تعد المهد الحقيقي لتشكيل شخصيته، ولهذه الأهمية فإن بعض علماء الاجتماع والتربية قد لخصوا دور الأسرة المسلمة في تنمية المنظومة الخلقية والقيمية لدى الأبناء بما يلي:

---

[1][صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل (ت256هـ) كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ط دار الشعب ــ القاهرة، رقم الحديث: 1385 : 2/ 125].

[2]ينظر: نحو بناء نظرية إسلامية في النحو الإنساني، عماد الشريفين، ط1، عمان، دار عماد الدين للنشر، 2010م : 252 .

[3]منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد ــ دار طيبة ــ مكة المكرمة : 36 .

[4][السنن الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت458هـ) باب ما على الآباء والأمهات، ط1، دائرة المعارف، رقم الحديث: 5298 : 84].

[5][سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى (ت279هـ)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في أدب الولد، تحقيق: أحمد محمد شاكر ــ بيروت، دار إحياء التراث العربي، رقم الحديث: 2078 : 7/ 429].

[6]ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ط2 ــ مصر، دار الشروق : 1/ 221 .

1. مساعدتهم على تأكيد الإيمان بالله (عز وجل) وتربيتهم دينياً من خلال تعليمهم الفضائل وابعادهم عن الرذائل.
2. مساعدتهم على تمثل القيم والحقائق والمبادئ الإسلامية، والتي تكسبهم الحقائق والمفاهيم الصادقة الملائمة لقدراتهم وإعطائهم الإدراك لفهم الإيمان الحقيقي بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والصلاة والصوم ... وغيرها[1].
3. تعويدهم على الآداب الاجتماعية والإسلامية والقيم الخلقية بالممارسة العملية فيتهذب بما يناله سواء كان بالمشاهدة أم بالتطبيق العملي.
4. تعويدهم على البيئة المحيطة بهم، والتي لا تخالف القيم والتعاليم الصحيحة لكي تترسخ عندهم بعض القيم الاقتصادية والاجتماعية، فيكونوا أفراداً عاملين منتجين لهم دورهم الإيجابي في المجتمع.
5. تهيئة المناخ المناسب المساعد على اكتساب تلك القيم التي تؤدي إلى الصلاح، وتهيئة الفرص لهم، وبذلك يكونوا أفراداً ناجحين في حياتهم الاجتماعية.

ثانياً: أمثلة من القرآن الكريم.

زخر القرآن الكريم بجملة من القصص بينت الانحراف وآثاره على الفرد والمجتمع، لذلك لابد أن نأخذ الدروس والعبر من تلك القصص، لكي نبتعد عن الانحراف وآثاره الخطيرة على المجتمع المسلم.

ولا ننسى بأن هناك نوعان من الانحراف في القرآن الكريم هما: الاول: الانحراف من الخير إلى الشر، والثاني: من الشر إلى الخير، ومن الأمثلة على هذين النوعين الأول: قال تعالى لبني إسرائيل : (قال أتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير)[2]، والثاني: قصة زوجة فرعون التي خالفت عقيدة زوجها وانحرفت إلى العقيدة الصحيحة التي دخلت بها الجنة.

فنحن في هذا البحث نأخذ الانحراف الأول الذي يؤثر تأثيراً سلبياً على الفرد وعلى المجتمع المسلم، ونبدأ بقصة ابني آدم (عليه السلام) التي تمثل ثبات أحدهما على الخير والإيمان والعقيدة الصحيحة، والثاني يمثل الشر والانحراف عن العقيدة الصحيحة إلى عقيدة تخالف أوامر الله (عز وجل).

وهنا نجد أن قابيل كان رجلاً ذا شخصية مريضة تمتزج بها عناصر الشر، وتسيطر عليها دواعي الطمع والإثم والحسد والحقد والتمرد على حكم الحق بجميع أنواعه[3].. ومن هذه الصفات يأتي الانحراف والخروج عن العقيدة والعادات والتقاليد الصحيحة، قال تعالى : (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قُرباناً فتُقُبلَ من احدهما ولم يُتقبل من الآخر قال لأقتلنّك قال إنما يتقبل الله من المتقين)[4]، فهذا كلام المنحرف عن الحق المبتعد عن الأوامر الإلهية قد بدأ بالقتل الذي يفسد الحياة.

وفي المقابل نجد أخوه وقد قابله بالكلام الطيب الذي يدل على الثبات وعدم الزيغ عن طريق الحق واتباع أوامر الله (عز وجل)، فقال لأخيه المنحرف :(لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله ربّ العالمين)[5]، بهذه الكلمات نرى النفس الخيرة التي استقامت على التقوى وسيطرت عليها نوازع الخير، وقد مُلئت بالإيمان الحقيقي، فإنها تخاف الله رب العالمين، فكانت نتيجة الأخ المنحرف الذي سيطر عليه الشر قتل أخيه، قال تعالى: (فطوّعت له نفسه قتْل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين)[6].

---

[1] ينظر: واقع المسلمين أمراضه وعلاجه، النحوي، د. عدنان علي رضا، ط1، دار النحوي، 1995م : 111 ــ 112 .
[2] [سورة البقرة : من الآية (61)] .
[3] ينظر: مع الأنبياء في القرآن، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين ــ بيروت، ط17، 1989م : 53 .
[4] [سورة المائدة : الآية (27)].
[5] [سورة المائدة : الآية (28)].
[6] [سورة المائدة : الآية (30)].

فمن هنا نرى كيف هدّم هذا المنحرف ما بناه الله (عز وجل) بيده؛ لأن الإنسان هو بنيان الله (عز وجل)، فغلبت صفات الشر المنحرفة على صفات الخير، وأصبح إنساناً بعيداً كل البعد عن الله (عز وجل) وعن أوامره، وبذلك أصاب المجتمع المطمئن المؤمن بشريعة الحق ما أصابه من انقسام وساد الشر والانحراف قسم منه، بسبب ذلك الطغيان.

لذا نجد أن مثل هذا الانحراف يؤدي إلى انقسام المجتمع؛ لأن القتل هو أبشع الجرائم وما دونه أهون منه.

ولنأخذ كذلك مثلاً آخر من الانحراف والابتعاد عن أوامر الله (عز وجل)، وهو ابن نوح (عليه السلام)، وكيف خالف أوامر الله وابتعاده عن طاعة أبيه عندما أمر الله نوح (عليه السلام) أن يركب في السفينة هو ومن آمن معه فتخلف عنه ابنه (يام) الذي أصر عل الكفر وسار مع الكافرين الجاحدين بدين الله، وقد ناداه أبوه أن يركب معنا في الفلك لكنه لم يسمع كلامه وقال (قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء)[1]، فقال الله تعالى على لسان نوح (عليه السلام):(قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلاّ من رحِم)[2]، ولم يستجيب لما طلبه أبوه منه، فأصبح من الغارقين[3].

فانظر كيف أصبح هذا الابن المنحرف مع الجاحدين ولم يستجب لأوامر الله (عز وجل) وما طلبه أبوه منه، وبذلك فقد أصابه الذل والخسران في الدنيا والآخرة، وبهذا نجد أن الانحراف عن طريق السليم لا يأتي بخير سواء للفرد أم للمجتمع، وبذلك يصيب الفرد والمجتمع الخسران والذل والانحدار إلى مستنقع الرذائل الذي يهدم المجتمع ويبعده عن الحياة الصحيحة، فبهذه القصة نجد الدرس الذي يقول بأن مخالفة الأب لا يأتي إلا بالخسران في الدنيا والآخرة.

كذلك نأتي على قصة زوجة نوح (عليه السلام) وزوجة لوط (عليه السلام) الذي عبر عنها القرآن الكريم بكلمة (فخانتاهما) في قوله تعالى:(ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت نوحٍ وامرأت لوطٍ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يُغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين)[4].

فانحرافهما قد أثر تأثيراً سلبياً عليهما، وقد أصاب زواجهما الدهشة بعد معرفتهما بانحرافهما وبغيهما عن الطريق المستقيم، علماً أن زوج كل واحدة منهما هو نبي مرسل، وعلى ذلك فإن القرابة مهما اشتدت لا يمكن أن تغني عن الإنسان شيئاً إذا كان العمل مخالف لله (عز وجل)، فلا يغنينا عنها من الله بشيء؛ لأن العمل هو الذي يوصلك إلى طريق النجاة[5].

فالخيانة ليس بعمل الرذيلة بل بمخالفتها بالعقيدة، وإنهما لم يسمعا ما جاء به أزواجهما[6].

فالانحراف بجميع أشكاله مؤثرٌ سلبيٌ على الفرد والمجتمع، وسيصاب كلاهما بالهلاك وعدم الاستقرار في جميع مجالات الحياة.

---

[1][سورة هود : من الآية (43)] .

[2][سورة هود : من الآية (43)] .

[3]ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 2000م : 15/ 331 .

[4][سورة التحريم : الآية (10)] .

[5]ينظر: مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف عبد الفتاح طبارة : 81 .

[6]ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت671هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب ــ السعودية، 2003م : 9/ 47 .

المطلب الثالث: اثار الانحراف وعلاجه.

اولاً:آثار الانحراف

الانحراف كما بينا سابقاً هو تخلف ثقافي مؤثر على المجتمع تأثيراً مباشراً وفي جميع مجالات الحياة، بسبب سيطرة الدولة الغربية على المجتمعات الإسلامية، وبث أفكارها وسمومها في جسد المجتمع المسلم، سواء أكان ذلك بالوسائل الحديثة المتطورة أم باحتلال البلدان وفرض تلك الأفكار.

فالاحتلال الغربي يفرض قوانين الدول الغالبة على المجتمع المغلوب، ويوهن بذلك نفوس المسلمين المتمسكين بالعقيدة السليمة و ابعادهم عن مبادىء الإسلام، فيتمسكون بعادات وتقاليد الغرب، وتظهر بذلك آثار جمة بسبب تأثر الفرد أو المجتمع بتلك القوانين، ومن هذه الآثار:

1. الانحراف قد يعني رفض الحكم الذي أنزله الله (عز وجل)، وترك الشريعة في كثير من مجالات الحياة واستبدالها بالقوانين المقتبسة من الغرب.
2. الانحراف الأداة الأساسية لبث الأفكار الغربية التي جعلت الوسيلة الأقوى لمحاربة الإسلام والمجتمع المسلم، وخاصة إذا انتشرت بين الفئة الناشئة، سواء كان ذكرٌ أم انثى.
3. الانحراف وسيلة لنشر الفوضى الأخلاقية وهدم بنيان المجتمع المسلم سواء كانت بالوسائل الحديثة أم بترك العادات والتقاليد الصحيحة التي كانت السياج المتين للمجتمع.
4. الانحراف يكرس النزعة الأنانية لدى الفرد ويعمق مفهوم الحرية ويضيق مفهوم احترام القيم والعادات والتقاليد الصحيحة التي تسير عليها الجماعة.
5. الانحراف يسهم في تفكيك القيم الايجابية وجعل محلها القيم المنحرفة؛ لأن الوسائل الحديثة تبث القيم المنحرفة، وتشكك بالقيم الصحيحة فيقتبسها الشباب فتزيد في انحرافهم وتركهم القيم الصحيحة.
6. الانحراف يجعل المجتمع يسير نحو مصيرٌ مجهول، وإنه يتعرض إلى نكبات قوية تؤثر على مضجعه، وبذلك يدخل في الفوضى التي تجعل أبناءه يهدمون كيان مجتمعهم بأيديهم، وبذلك تتدرج مع المجتمعات الفوضوية.
7. الانحراف يؤدي إلى تخاذل أبناء المجتمع ويضعف بذلك للولاء للوطن، مما يجعله أكلة سائغة عند أعدائه.
8. الانحراف يؤدي إلى إضعاف العلاقات الاجتماعية بين الاسرة الواحدة، ويسري ذلك إلى إضعاف العلاقة بين أفراد المجتمع الواحد، وبين طوائفه.
9. الانحراف يؤدي إلى نبذ الاحترام والتماسك والمحبة والتعاون بين أفراد المجتمع الواحد، بل وتقضي على الهوية العربية الإسلامية لهذا المجتمع.
10. الانحراف يؤدي إلى تفكك اللحمة الوطنية والنسيج الاجتماعي الذي يوصل إلى الوحدة.
11. الانحراف يؤدي إلى ضياع القيم الإنسانية وتغير الحقائق التي ترتقي بالمجتمع إلى أرقى المستويات الحياتية.
12. الانحراف يؤدي إلى تشويه حقيقة أو ذات الإنسانية، بل ويتعدى إلى تشويه سيرة ذلك المجتمع الذي كان يعيش فيه هذا الفرد.
13. الانحراف يؤدي إلى التخلف الاجتماعي سواء كان ثقافياً أم اجتماعياً أم دينياً أم سياسياً؛ لأنها كلها تنعكس على هذا المجتمع، فيكون متخلفاً على جميع الأصعدة.

ثانياً: علاج الانحراف,

الانحراف مرض خطير إذا دخل إلى كيان المجتمع فإنه يؤثر عليه تأثيراً سلبياً، ولكن لكل مرض علاج، وهذا العلاج إذا أخذه الفرد فإنه سيرتقي بالمجتمع إلى أرقى المستويات.

1. تطبيق أوامر الله (عز وجل) وعدم الابتعاد عنها، لأنها الدواء الفعال لمثل هذا المرض.

2. إتباع السنة النبوية القولية والفعلية، واقتفاء آثار الرسول (صلى الله عليه وسلم) والصحابة.
3. ترسيخ العقيدة الصحيحة لدى الأبناء منذ الصغر لكي لا ينحرفوا عن الطريق الصحيح.
4. مراقبة الأبناء بكل عمل يعملونه صغيراً أو كبيراً، وحثهم على العمل الجيد وزجرهم بهدوء عن العمل السيء الذي يقومون به.
5. اختيار أصدقاءه الصالحين وإبعاده عن صديق السوء؛ لأن صديق السوء هو المؤثر المباشر في انحراف الفرد.
6. اعتماد الحوار الهادئ المقنع مع من انحرف عن المنهج السليم.
7. الالتزام بالعادات والتقاليد الصحيحة التي لا تعارض مع المنهج الإلهي؛ لأنها تحافظ على ذاتية الإنسان وتحافظ على كيان المجتمع.
8. عدم الركون إلى ما يصدره الغرب بوسائل الإعلام الحديثة التي تريد هدم المجتمع المسلم من خلال تلك الوسائل وإبعاد الأبناء عنها.
9. دراسة قصص القرآن والتحذيرات الإلهية من ظاهرة الانحراف التي تؤدي إلى انقسام المجتمع وتناحره فيما بينه.
10. نشر مبدأ المحبة والأخوة والتعاون والتعاطف بين صفوف أفراد المجتمع لكي تكون مجتمعاً موحداً لا يدخله الضعف والوهن بأي شكل من الأشكال.
11. التمسك بأقوال الرسول (عليه الصلاة والسلام) وأصحابه وآل بيته الأطهار؛ لأنهم القدوة الحسنة للمجتمع المسلم، ولا يكون ذلك فقط بالقول، بل لابد من الفعل.
12. الابتعاد عن العصبية التي قد تكون سبباً كبيراً للانحراف والتمسك بمبادئ الإسلام الحقيقية.

الخاتمة:

بعد أن تجولنا في رحاب هذا الموضوع فلابد لي أن أسجل بعض النتائج التي توصلت إليها:

1. الانحراف فكرٌ داخلي وسلوك خارجي مؤثرٌ على الفرد والمجتمع، إذا دام يوجب عقوبة صارمة؛ لأنه خالف القوانين الصحيحة.
2. للأسرة دور في انحراف الفرد عن القيم والعادات العريقة، ولها الدور في اكتسابه الصفات الحسنة.
3. نشأة الفرد السليمة لها أثرها في إبعاده عن الطريق السليم، باختيارهم أصدقاء جيدون يؤثرون عليه تأثيراً إيجابياً.
4. للوسائل الحديثة المتطورة أثرها في انحراف كثير من الأفراد؛ لأنهم يقتبسون منها كل ما يؤدي إليه بكل سهولة، وهذا ما ينشده الغرب لهدم كيان المجتمعات الإسلامية.
5. سد حاجات الفرد ومتطلباته تبعده عن طريق الانحراف وتسير به إلى طريق قويم.
6. حذرنا القرآن الكريم في كثير من قصصه من عواقب الانحراف التي توصل إلى التهلكة، فعلينا أن نأخذ العبرة من ذلك.
7. للانحراف آثار سلبية تؤثر على كيان المجتمع، فتوصله إلى التخلف والجهل في أغلب الأحيان.
8. الانحراف يؤدي إلى ضياع القيم الإنسانية وتغير الحقائق التي لها دورها في رقي المجتمع في جميع المجالات.
9. أعطانا الله (عز وجل) العلاج الأمثل كي نبتعد عن الانحراف ولا نجعله يؤثر على مجتمعاتنا، فإذا أخذنا ما أمرنا الله به فإننا سنرتقي ونزدهر، وإذا تركنا ما أمرنا به سنهلك كما هلكت الأمم السابقة.

المصادر:

القرآن الكريم
1. صادق,حسن ,1973م, الإجرام والعقاب في مصر، الإسكندرية.
2. العصرة,منير , 1974 , انحراف الأحداث ومشكلة العوامل، المكتب المصري الحديث - القاهرة.
3. العوجي, مصطفى , 1406 هـ , التربية المدنية كوسيلة للوقاية من الانحراف،المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ــ الرياض.
4. الطبري , محمد بن جرير , 2000م , جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة.
5. القرطبي ,محمد بن أحمد بن أبي بكر, 2003م , الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب - السعودية.
6. العيسوي , عبد الرحمن محمد , 2004 , الجريمة بين البيئة والوراثة، دراسة في علم النفس وتفسير الجريمة، منشأة المعارف - الإسكندرية.
7. سيد كامل , شريف , 2006 , الحماية الجنائية للأطفال، دار النهضة العربية.
8. العصرة , منير , 1975 م , رعاية الأحداث ومشكلة التقويم، الإسكندرية.
9. الترمذي , محمد بن عيسى , سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
10. البيهقي ,أحمد بن الحسين بن علي الخرساني, السنن الكبرى، دار المعارف.
11. البخاري , محمد بن إسماعيل , صحيح البخاري، البخاري، ط1، دار الشعب - القاهرة.
12. منصور , إسحاق إبراهيم , علم الإجرام وعلم العقاب، بدون.
13. سيد قطب , إبراهيم حسين ,في ظلال القرآن، ط25، دار الشروق - مصر.
14. إبن منظور ,محمد بن مكرم, لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف ــ القاهرة.
15. السيد أحمد , سامح , 1976 م , مبادىء علم الإجرام والعقاب، القاهرة.
16. ابو عامر , محمد زكي , 2000م , مبادىء علم الإجرام والعقاب، منشأة المعارف - الإسكندرية.
17. الطالقاني , إسماعيل بن عباد بن عباس بن أحمد,1994م , المحيط في اللغة، ، ط11، عالم الكتب ــ بيروت.
18. الرازي , محمد ابن ابي بكر ابن عبد القادر ,1995م , مختار الصحاح،تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان - بيروت.
19. الحاكم , محمد بن عبد الله النيسابوري, 1990م , المستدرك على الصحيحين،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت.
20. القضاعي , أبو عبد الله بن سلامة بن جعفر , 1986م , مسند الشهاب، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلعي، ط2، مؤسسة الرسالة - بيروت.
21. طبارة , عفيف عبد الفتاح , 1989م , مع الأنبياء في القرآن، دار العلم للملايين - بيروت.
22. بدوي , أحمد زكي , 1977 م , معجم المصطلحات للعلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان - بيروت.
23. الدمرداش , عبد المجيد سرحان , 1981م , المناهج المعاصرة، ط3، مكتبة الفلاح - الكويت.
24. سويد , محمد نور , منهج التربية النبوية للطفل، دار طيبة - مكة المكرمة.
25. مكي , دردوس , الموجز في علم الإجرام، ديوان المطبوعات الجامعة، قسطنطينة.
26. الشريفين , عماد عبد الله محمد , 2010م , نحو بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني.